CC BY

السلطة السياسية في فكر فولتير

بشار فاروق عبد عمار ظاهر مصلح
جامعة الموصل كلية التربية الأساسية قسم التاريخ

(قدم للنشر في ٨/٨ /٢٠٢٢ قبل للنشر في ٩/ ٩/٢٠٢٢)

ملخص البحث

استطاع فولتير ان يؤثر على السلطة السياسية ، وكان تأثيره هذا واضحا وبارزا ، فقد استطاع ومن خلال انتقاده المبكر في سني حياته والمباشر الى كل من يجلس على كرسي العرش الفرنسي ان يحدث خلخلة في النظام وتوج ذلك كله بأصدار كتابه الشهير (الرسائل الفلسفية) عام ١٧٣٤م الذي اعتبر وبحق كما وصفه احد المؤرخين بأنه اول قنبلة القى بها فولتير على صرح النظام القديم (صرح العصور الوسطى بتعاليمها ونظمها وعاداتها وتقاليدها وكذلك كان صدوره ايذانا بأبتداء عصر التنوير الفرنسي الذي حمل لوائه فولتير .

عدت الرسائل الفلسفية اول توبيخ علني ومباشر وجهه فولتير الى السلطتين السياسية والدينية . وهذا بحد ذاته يعد سابقة خطيرة في تاريخ فرنسا انذاك ، ومن خلاله درب فولتير الشعب الفرنسي على المطالبة بحرية الارادة وحرية التفكير فيما يخص مسألة التغير ، كما فسح المجال لغيره من النقاد او الفلاسفة امثال روسو وغيره بأن يسيروا على نفس المنهج .

قسم البحث الى قسمين . القسم الاول ضم حياة فولتير وابرز المحطات التي مرت بها . مثل مرحلة السجن والنفي ومرحلة مدام شاتليت ومرحلة العيش في بلاط الملك فردريك واثر هذه المراحل في التأثير على فكره السياسي وصقله . في حين جاء القسم الثاني ليناقش فكره السياسي على محورين ، المحور الاول هو احتكاكه بالسلطة ومدى تاثيرها على قلمه ، والمحور الثاني ضم السلطة في كتابات فولتير وكانت على مرحلتين ايضا ، المرحلة الاولى تمثلت بكتابات فولتير قبل صدور كتابه الشهير (الرسائل الفلسفية) ١٧٣٤م والتي عبرت عن بواكير فكره السياسي ، في حين كانت المرحلة الثانية وهي مرحلة ما بعد صدور كتاب الرسائل الفلسفية . وفيها نلاحظ نضوج الفكر السياسي لدى فولتير ومعالجته الحقيقية لواقع فرنسا انذاك واختياره لشكل الحكومة التي من شأنها ان تصلح الاوضاع في فرنسا .

Political power in Voltaire's thought

Ammar Zahir Mosleh **Bashar Farouk Abd**

- University of Mosul - College of Basic Education -

Department of History

extract

Voltaire was able to influence the political power, and his influence was clear and prominent. He was able, through his early criticism in the years of his life and direct to everyone who sits on the throne of France, to disrupt the system and culminate in all of this with the publication of his famous book (The Philosophical Letters) in 1734 AD, which It was rightly considered, as described by one of the historians, that it was the first bomb that Voltaire threw at the edifice of the old regime (the edifice of the Middle Ages with its teachings, systems, customs and traditions)

In addition, the Philosophical Letters considered Voltaire's first public and direct rebuke to the political and religious authorities - and this in itself set a dangerous precedent in the history of France at the time, and through it, Voltaire paved the way for the French people to begin to think of free will and freedom of thought regarding the question of change, as He gave way and gave the green light to other critics or philosophers like Rousseau and others to follow the same approach.

It should be noted that Voltaire was not an extremist in his ideas, as some might understand, especially with regard to the political aspect of his propositions. For example, he did not criticize political authority for a personal interest, such as dreaming of sitting on the throne of the king. Rather, his criticism of it was for the purpose of reforming it. This helps, so this change of hers on the one hand, and on the other hand, when Voltaire approached politicians or kings, it was not for material gain, for example, or in order to obtain some privileges, which were granted at the time to some nobles, but rather, he was approaching them in order to use them as an indirect weapon in order to achieve his goal of reform. (if this is in France)

As for outside it, he may have wanted to try this method in another country, hoping to come up with something different from what he gained from France, and by virtue of travel and many moves, he was able to meet several kings and get acquainted with most of the regimes that ruled Europe, and then came his proposals and treatments regarding the political aspect and which he wrote At the end of his life, deep, original and well-studied proposals, and his political criticism came as a demand to reform the ruling political system in France in particular and Europe in general.

اولا : ولادته :

ولد فرانسوا ماري ارويه (FRANCOIS MARE AROUET) في عام ١٦٩٤ الا ان المصادر قد اختلفت في تحديد اليوم والشهر الذي ولد فيهما(١) ، ولكنها كانت على الارجح في ٢١ نوفمبر(٢) او ربما هي كما ذكر كريسون في ١٦ شباط(٣) ، ومهما يكن من امر فقد ولد في مدينة باريس ، او في منطقة (شاتنيه) الواقعة قرب مدينة باريس(٤) ولم يعمد الا في ٢٢ تشرين الثاني من السنة ذاتها ، وقد عزى هذا التاخير فيما بعد الى ضعف بنيته في طفولته الاولى(٥).

كانت والدته (مدام ماغريت دومون)(٦) تنتمي الى عائلة من صغار النبلاء تقع في مقاطعة (بواتو)(٧) ، وكانت ابنه احد موظفي البرلمان الفرنسي انذاك واخت المراقب العام للحرس الملكي(٨) ، ولاجل هذا فقد استطاعت الوصول الى بلاط الملك لويس الرابع عشر ، ومما عرف عنها بأنها كانت امرأة طائشة وذكية في الوقت ذاته ، ويبدو ان فرانسوا قد ورث عنها هذا الجانب(٩)

اما والده المدعو بـ (ماري ارويه) فكان ينتمي الى طائفة لا بروتستانتية . ولا كاثوليكية لا تتمسك بالتقاليد ويعارضها اشد المعارضة الكاثوليك والبروتستانت المحافظون على تقاليد مذاهبهم الاصيلة ، كان رجلا يعمل موثقا للعقود ثم المعتمد في ديوان المحاسبة(١٠) ، والى جانب ذلك فقد كان حاملا لشهادة القانون(١١) ، كان يملك دخلا ميسورا الى حد ما سيما انه كان احد رجال اعمال الدوق (دي رشيليو) وكذلك الدوق (سان سيمون)(١٢) كان الى جانب ذلك على قدر بسيط من الثقافة ، اذ انه كان قد عرف الشاعر (بوالو) والغنائية (نينون) (١٣)، ومثلما عرفنا ان فرانسوا قد اخذ من والدته شيئا من الطيش والذكاء ، فأنه ايضا قد اخذ من والده الدهاء وسرعة الغضب (١٤) .

ثالثا:

ثانياً : ابرز محطات حياته :

<u>(أ) مرحلة السجن والنفي (١٧١٣ ـ ١٧٣٣م) :</u>

في سنة ١٧١٣ تخرج فرانسوا من معهد لوغران(١٥) ، وكان يتحرق شوقا ان يمتهن الادب لكن والده كان مصرا على ان يمتهن المحاماة(١٦) ، وعندما اصر فرانسوا على موقفه قام والده بنفيه الى هولندا ، وربما كان والده محقا عندما اوصى السفير الفرنسي (دي شاتونيف) بأن يراقب تصرفات فرانسوا ، حيث وقع في السنة التي امضاها في هولندا بحب فتاة فرنسية بروتستانتية كانت تعيش في (لاهاي)(١٧) وقد اخبر السفير والد فرانسوا بهذا الامر ، فما

كان من الاخير الا ان استدعى فرانسوا وهدده بالنفي الى جزر الهند الغربية او اكماله لدراسة القانون(١٨) وتحت هذا التهديد اضطر فرانسوا لدراسة القانون (وخاصة قوانيين جستنيان وتيوديوس)(١٩)

ثم عمل لمدة سنة موثقا للعقود في مكتب محام (١٧١٣– ١٧١٤) ، وبعدها وفي سنة ١٧١٥ توفي ملك فرنسا انذاك (لويس الرابع عشر) (٢٠) وبدأت فرنسا تتنفس الصعداء وجرت في هذا العام مظاهرات سياسية شارك فيها فرانسوا وذلك بتنظيمه بعض القصائد الهجائية ضد الوصي على العرش متهما اياه بأغتصاب العرش من الملك (لويس الخامس عشر)(٢١) ، وعلى اثر تلك القصائد اصدر الوصي أمرا بأعتقال فرانسوا وايداعه في سجن الباستيل و ذلك في عام ١٧١٧، حيث فوجئ هذا الشاب وهو في مسكنه برجال الشرطة التي اقتادته الى منزله الجديد (الباستيل) ولم يسمحوا له بجلب شيئ معه سوى ثيابه التي كان يرتديها(٢٢) ، ويبدو انه سرعان ما تاقلم مع وضعه الجديد وراح يكون الكثير من العلاقات الطيبة مع المسجونيين ، ومن هنا بدأ يحضر لاولى اعماله الهامة (اوديب والمعاهدة)(٢٣) كما مضى ليختار لنفسه اسما جديدا في عالم الادب وهو (فولتير)(٢٤)

وبعد عشرة اشهر من السجن صدر الامر بالافراج عنه بتاريخ ١١ / ٤ / ١٧١٨ ، و ذلك كان بفعل تدخلات ووساطات والده وبعضا من اصدقائه او كما يذكر ول ديورانت بأن الوصي كان قد عفى عنه من بين الذين عفا عنهم في ذلك الوقت (٢٥) ، وبعد خروجه كتب رسالة الى الوصي شكره فيها على اهتمامه فيه اثناء مكوثه بالسجن الا انه طلب منه ان لا يهتم بأسكانه ابدا(٢٦) .

بعد خروجه من الباستيل حاول ان يجمع بين المال والقلم وقد تم له ذلك خاصة عندما عرض مجموعة من الاعمال عادت اليه بربح كثير، كما فتحت امامه ابواب الاوساط المثقفة في فرنسا كلها ، وايضا زاد تقربه الى البلاط الملكي وشارف ان يصبح شاعر البلاط(٢٧) ، ومن جهة ثانية شهدت هذه المدة من حياته (١٧١٨– ١٧٢٦) تنقلات وسفرات طاف فيها مناطق كثيرة من اوربا ومنها بروكسل ، والتقى بالكثير من فلاسفة وادباء عصره كجان جاك روسو مثلاً (١٧٢٢) الذي اختلف معه حول العديد من المسائل فيما يخص تعاليم الديانة المسيحية(٢٨) .

وبفضل ذلك تمكن فولتير ان يخالط طبقة النبلاء،وظن ان بأمكانه الجهر بأفكاره كيفما اراد ، وفعلاً وفي احدى هذه الجلسات وقعت مشاجرة بينه وبين احد هؤلاء النبلاء وكان يدعا بـ (دي روهان)(٢٩) ، حيث بعث اليه مجموعة من رجاله قاموا بضربه ضربا مبرحا ، وعندما اراد

ان يأخذ فولتير بثأره قوبل بالاستحقار والخذلان ، وارسل مرة ثانية الى سجن الباستيل ، لكنه هذه المرة لم يمكث فيه طويلا حيث سرعان ما اطلق سراحه شريطة ان يغادر فرنسا(٣٠) .

وقبل فولتير بهذا القرار وقرر ان ينفي نفسه الى انكلترا(٣١) والتي سبق له ان زارها عام ١٧٢٤ وقابل ملكها (جورج الاول)(٣٢) وكون معه علاقة صداقة بسيطة ، وهكذا فلم يبقى له شيئاً ليخسره في فرنسا واحس ان انكلترا ستكون ملجأ امن له(٣٣) ، حيث ارتحل اليها في مايو ١٧٢٦ وبقي هناك ثلاث سنوات(٣٤) وبصورة سريعة بدأ فولتير التأقلم مع المجتمع الانكليزي ، حيث تعلم اللغة الانكليزية وضبطها نطقاً وكتابة(٣٥) ، كما قرأ لشكبير واعجب بأسلوبه في الكتابة ، ودرس تعاليم العالميين لوك(٣٦) ونيوتن الطبيعية والفلسفية ، وتعرف على شخصيات عظيمة المكانة في انكلترا ، وشيئا فشيأ دخل في الاوساط التي تؤمن بالتفكير المطلق (٣٧) ، ومجمل القول كانت هذه الرحلة مفيدة جدا لفولتير سيما انها كانت المسؤولة عن تحديد هدف فكري واضح لكتاباته ، كما وجهته الى دراسة الفلسفة والتاريخ ، وعملت على شحن اسلحته الانتقادية في معركة استعد لخوضها ضد انظمة فرنسا السياسية والدينية(٣٨)

وفي سنة ١٧٢٩ راسل فولتير الوصي على العرش الفرنسي انذاك وترجاه ان يسمح له بالعودة الى فرنسا فوافق الاخير على ذلك الطلب شريطة ان يضبط فولتير لسانه ويبتعد عن الانتقاد السياسي(٣٩) ، وبالفعل عاد الى فرنسا وخلال المدة (١٧٣٠ . ١٧٣٣) كتب بعضا من اعماله ونجح بجمع ثروة لابأس بها(٤٠)

وفي اواخر ١٧٣٣ نقض فولتير عهده مع الوصي وقدم قصيدة اتخذ فيها موقفا معاديا للنصرانية ، كما طبع كتابه (الرسائل الفلسفية) او (الرسائل الانكليزية) وفيه هاجم ووبخ السلطات السياسية في فرنسا ، فلأجل ذلك ثارت عليه الكنيسة وقدمت الاحتجاجات(٤١) وشعر انه في خطر للمرة الثالثة وقرر ان ينفي نفسه ولكن هذه المرة داخل فرنسا وليس خارجها ، حيث اختار له قصرا في مدينة سيري الواقعة في احدى ضواحي باريس مرافقا لامرأة فرنسية تدعى بـ (مدام دي شاتليت)(٤٢)

(ب) مرحلة مدام دي شاتليت (١٧٣٣ . ١٧٤٩م)

تعتبر هذه المرحلة من اهم المحطات في حياة فولتير النظرية والعلمية هذا من جهة ، ومن جهة ثانية كانت من افضل سنوات باريس وابداعها الفكري(٤٣) ، ورفض فولتير في عام ١٧٣٤ كل الدعاوي التي تلقاها من الاشخاص للذهاب والسكن عندهم واختار ان يعيش مع شاتليت في قصر فاخر في سيري حيث مكانه القريب من اللورين(٤٤) وبعده عن باريس واجهزتها الامنية التي كانت تلاحقه(٤٥) ، كما اجتذبته علاقات شاتليت مع بعض رجالات

الحرس الملكي والتي استفاد منها خاصة في حماية نفسه من الملاحقات جراء ماكان يكتبه من مقالات سياسية ودينية لاذعة (٤٦)

عاش فولتير الستة اعواما الاولى (١٧٣٤ . ١٧٣٩) في قصر شاتليت ولم يغادره ، لكنه في الوقت ذاته لم يقطع علاقاته مع المعارضين على السلطة المركزية(٤٧) ، واخيرا فك قيود اعتزاله هذه وقام بمجموعة من الاسفار منها الى منطقة ليد في هولندا عام ١٧٣٩ ثم الى بروكسل عام ١٧٤٠ ، ثم ذهب وقابل فردريك ملك بروسيا انذاك الذي شرع بمراسلته منذ عام (٤٨) ١٧٣٦ ، بعد ذلك رجع الى باريس ودأب على تحسين علاقته مع الاطراف السياسية والدينية فيها وكان ذلك بفضل مدام شاتليت بالطبع ، ثم جاء صعود نجم دي بمبادور(٤٩) تدعيما لمركز فولتير حيث سمح له عن طريقها تقديم احدى مسرحياته في يوم زواج الملك وهكذا استطاع اعادة علاقاته الودية معه ، وعين عام ١٧٤٥ مؤرخاً للملك والبلاط الفرنسي(٥٠) ، ثم رشح نفسه للاكاديمية الفرنسية ونجح في ذلك(٥١) بعد ان حسن علاقته بالبابا(٥٢) وبعض اليسوعيين ،فضلاً عن ذلك فأن هذه المرحلة شهدت زيادة وتعاظم ثروة فولتير على اثر وفاة والده ثم تبعه وفاة اخاه وحصوله على قدر كبير من ميراثهما(٥٣)

واخيرا غدا بيد فولتير اكثر من منصب واكثر من مهنة يزاولها ، لكن الحظ لم يبقى مبتسما له طيلة الوقت ، فقد اثار تقربه من الملك ودخوله الاكاديمية وعدائه المستمر للدين ولسانه اللاذع سخط وقلق رجال الكهنوت ونبلاء الحاشية واللذان احاكا المؤامرات والدسائس ضده ، الى حد بدأ يشعر بالخطر على حياته(٥٤) ومما زاد الطين بلة وفاة شاتليت المفاجئ(٥٥) عام ١٧٤٩ ، فأسودت الدنيا في عيناه وتمرض وشارف على الموت ، الاانه بعد فترة وجيزة استطاع التغلب على المرض واتخذ قرارا طالما ابتعد عنه طويلا وهي ان لبى دعوة الملك فرديك بالسفر اليه والعيش عنده(٥٦) .

(ج) مرحلة الملك فردريك الكبير (١٧٥٠ . ١٧٧٧م) :

بعد موت شاتليت كما مر انفاً فقد ترك فولتير فرنسا واتجه الى برلين في ٢٨ حزيران (٥٧) ١٧٥٠ وعاش في كنف فردريك مدة عاميين كاملين (١٧٥٠ . ١٧٥٢) حظي فيها باحترام الملك وتقديره ، كما انعم عليه بمرتب ضخم ، وغدت مهنته تصحيح وتنقيح ما يكتبه الملك من قصائد(٥٨) ، وفي ظل اجتماع كوكبة كبيرة من العلماء والادباء في بروسيا امثال (ديدرو وهولباخ) كتب فولتير سلسلة من اعماله الضخمة(٥٩) ، وقبيل انقضاء السنتين احس فولتير ان عليه ان يغادر برلين ، وقد تناول الباحثين هذا الامر وعزوه الى اسباب كثيرة كان ابرزها وقوف فولتير ضد الملك مع خصومه من الادباء وكذلك السبب الذي اورده ديورانت وتمثل في طبع فولتير لكتابه (دكتور اكاكيا)(٦٠) . الذي سبق لفردريك ان منعه من طبعه فاعتبر

هذا العمل بمثابة عصيان للملك وعدم احترام اوامره(٦١) ، وعلى اية حال فقد قدم فولتير استقالته الى فردريك فرفضها الاخير ، لكنه عاد وقدم مرة ثانية على اجازة بحجة كونه مريضا وعليه ان يخرج من برلين ليتعالج ، وفعلا نجح في الخروج منها ، وفي مدينة فرانكفورت اوقفه وكلاء الملك وطالبوه بأن يسلم لهم ديوان الملك الذي سبق وان اعطاه فردريك الى فولتير لكي ينقحه ، وابقوه محتجزا عاما كاملا حتى وصل الديوان مع بقية اغراض كان قد تأخر وصولها ، كما كتب فولتير لفردريك رسالة التمس فيها عطفه وكرمه ونبله وتوسل اليه باطلاق سراحه ، وبالفعل اطلق سراحه في نهايه عام ١٧٥٣. (٦٢)

بعد ذلك اراد الرجوع الى فرنسا الا انها سدت ابوابها بوجهه ، كما رفض ملك انكلترا وزوجته شرف ايوائه(٦٣) ، فقصد لوزان واستأجر دارا فيها وعاد وزاول نشاطه الفلسفي(٦٤) وفي الاعوام (١٧٥٥– ١٧٥٨) ساهم بتحرير الموسوعة والتي سرعان ما شن قساوسة مدينة جينييف حربا ضروس عليها ، كما منعوا فولتير من ان يمثل في مسارحها ، كما تخلى عنه رفاقه في الموسوعة تحت نفس الضغط والتهديد(٦٥)

اتجه بعد ذلك لشراء البساتين وبعض المساحات في القرى الزراعية وراح منكبا لزراعتها ومراقبتها بنفسه(٦٦) ، وانشأ له قصر هناك استقبل فيه شخصيات بارزة من جميع انحاء العالم ، وكانت هذه الفترة في حياته فترة توجه الى التاريخ والفلسفة واللذان الف فيهما كتبا عديدة(٦٧) ، كما غدا في هذه الاعوام شخصا متفائلا اكثر مما هو متشائما ومثل ذلك خير تمثيل في مسرحيته الشهيرة (كانديد او التفائل)(٦٨)

كما تحددت افكاره وتبلورت مواقفه تجاه السلطات البابوية والسياسية في فرنسا(٦٩) ، وتصادم مع صديقه روسو حول هذا المجال وخالفه بوجه النظر المطروحة للاصلاح(٧٠) ، ولم يقف الامر عند روسو بل شهدت الفترة (١٧٥٩ . ١٧٧٧) سعي الناس اليه من كل حد وصوب طلبا في رأيه وحكمته ومشورته ، كما ذهب ليدافع عن الفقراء والمظلومين وسخر لهم قلمه ، كما مد يد العون والمساعدة للكثير من الناس البسطاء واشغلهم في مزارعه وقام بتعليمهم وارشادهم ونصحهم٧١)

ثالثا / السلطة السياسية في فكر فولتير

أ / التجربة مع السلطة:

قبل الخوض في الحديث عن مواقف فولتير تجاه السلطة السياسية يتوجب علينا ان نقف قليلا لاستقراء ومعرفة اهم العوامل التي دفعته ليوظف حياته في هذا المضمار ، وكذلك يتوجب الامر

الوقوف على الظروف المحيطة به والتي دفعته بالنهاية الى ان يقف ندا للسلطة السياسية في فرنسا .

حيث نشأ فولتير كما ذكرنا فاقدا لحنان الام(٧٢) ، وربما ان والده قد احس ان عليه ان يكون ابا واما في الوقت ذاته فلأجل ذلك ربى فولتير تربية خاصة او بالأحرى اراد ان يصنع من فولتير رجلا نبيلا بتعليمه وثقافته وطريقة حياته ، الا انه اغفل جانبا مهما من شخصية فولتير وتركيبته النفسية والتي كانت قد اختلفت كثيرا عن اخوته من حيث السلوك والتصرفات وردود الافعال ، وهكذا بدأت تربيته تعطي مردودات معاكسة لما طمح اليه وما خطط له ،ويتوجب علينا ايضا ان نذكر جانب مهم في هذه القضية وهي ان والده (ماري ارويه) وبحكم انه كان ينتمي الى طبقة متوسطة وبحكم عمله عند كبار النبلاء في عهد فرنسا وابرزهم (دي رشيلو ، سان سيمون)(٧٣) فانه اراد ان ينشئ ولده تنشئة اولاد النبلاء من كل نواحي الحياة ، ولأجل ذلك فقد ادخله ليتعلم في افخر مدرسة للتعليم في فرنسا كله انذاك (٧٤)

ومع ان فولتير كان قد استفاد علميا من هذه المدرسة الا انه ومن الطبيعي بقى ينظر الى نفسه بأنه احد افراد الطبقة المتوسطة خصوصا عندما كان يقارن بين طبيعة حياته وابناء هؤلاء النبلاء(٧٥) ولهذا فأنه لم ينسجم معهم كثيرا ، وجاءت الطمة الثانية من والده الذي اراد منه ان يحترف الادب ، واجبره ان يسير على خطاه وامتهان القضاء، ومن هنا كانت اولى شرارات التمرد من فولتير ضد سلطة والده فأصر على ان يمتهن الادب ، وهنا جاءته اللطمة الثالثة وخاصة بعد بنفيه الى هولندا ملحقا بالسفير الفرنسي ، وهناك برمج فولتير عدم تنفيذه لأوامر والده بالتعرف على فتاة هولندية وراح يتقابل معها في مجالسات غير اخلاقية(٧٦)

هذا الامر الذي هيأ له ان يتلقى اللطمة الخامسة وهي استدعاء والده له وأجباره على ان يمتهن المحاماة ولا فالنفي الى جزر الهند الغربية سيكون مصيره ، وتحت هذا الضغط قام بدراسة المحاماة ، وقد ساعده اطلاعه على ابرز قوانيين فرنسا في اثارة نقمته ضد مشريعيها قاطبة ، وخصوصا اذ ما علمنا ان تلك القوانيين لم تكن لتطبق كثيرا على النبلاء تلك الطبقة التي حلم والد فولتير ان يكون ابنه احد افرادها ، وهكذا فقد عمد فولتير الى ان يخصص معرفته لهذه القوانين لخدمة جلية وكبيرة نضجت يوما بعد يوم في فكره ، الا وهي انتقاد مشرعي تلك القوانين الا وهم ارباب السلطة السياسية في فرنسا (الملك وحاشيته) ، ومن هنا بدأت حلقات الصراع بين الطرفين والتي قسمناها الى مرحلتين : مرحلة الانتقاد المباشر ومرحلة الانتقاد الغير مباشر(٧٧)

المرحلة الاولى: الانتقاد المباشر :

لقد اختار فولتير وفاة الملك لويس الرابع عشر هذا الملك الذي عاصر فولتير بعضا من سنوات حكمه الطويلة ونال منها قسطا ليس بالقليل من جراء استبداده بالسلطة وتدهور وانحطاط مستوى الشعب الفرنسي في عهده على كافة الاصعدة ، وكان ان حدث بعد وفاته مظاهرات سياسية شاركت فيها اعداد كبيرة من الفرنسيين فكان فولتير من ابرزهم ، وكانت النتيجة ان قامت السلطات الفرنسية بأعتقال منظمي هذه المظاهرات وكان فولتير واحدا منهم حيث سجن في الباستيل لمدة عشرة اشهر ، ومن ثم تم اطلاق سراحه(٧٨)

وللمدة مابين (١٧١٨ . ١٧٢٦م) ايقن فولتير انه لا يستطيع ان يوجه الانتقاد الى السلطات السياسية وهو لايزال ينتمي الى الطبقة المتوسطة ، وكذلك فأن أنتقاده على الصعيد العملي سوف لن يكون له أي صدى مالم يخالط اولائك الاشراف من النبلاء وعن طريقهم يستطيع الوصول الى البلاط الملكي ومن ثم يقوم بالاصطلاح الفعلي ، ولهذا نجده قد دأب في هذه الفترة ليجمع بين المال والقلم ونجح فعلا في ان يكون لنفسه دخلا لابأس به(٧٩)

كما استطاع ان يكون له طبقة من الاصدقاء المثقفين البارزين في فرنسا انذاك(٨٠) وشيئا فشيئا تقرب الى البلاط الملكي وشارف ان يصبح الشاعر المعتمد له ، وقبل ان تنطلق الشرارة الاولى التي دفعته ليجهر بأفكاره السياسية قام بمجموعة من الاسفار تنقل فيها بين بروكسل وفرنسا وعدة مناطق اخرى في اوربا، التقى فيها بأبرز معاصريه من العلماء امثال روسو وغيره(٨١)

وبعدها رجع الى فرنسا في سنة ١٧٢٦م وشبه له انه يستطيع ان يجهر بأفكاره كيفما اراد ولكنه كان مخطئا قليلا ، ففي احدى المطاعم الفاخرة في فرنسا واثناء استرساله في الحديث مع بعض اصدقائه اغاض ذلك الامر احد الجالسين في ذلك المطعم وكان من بين احد اشراف النبلاء ويدعى بـ (دي روهان)(٨٢) وراح يسأل فولتير بأسلوب اقرب الى السخرية عن اسمه وعن عائلته فأجاب الاخير بفصاحته المعهودة قائلا (أن الذي امامك لايحمل اسما كبيرا ولكنه يشرف الاسم الذي يحمله) فأعتبر روهان لغة الحديث هذه بمثابة استهزاء به فتشاجر معه انتهى الامر بأن طلب فولتير منه المبارزة ، لكن روهان رفض المبارزة ، وبعث اليه مجموعة من رجاله في اليوم المحدد للمبارزة قاموا بضرب فولتير ضربا مبرحا ، كان وقع هذه الحادثة على نفسيه فولتير بالغ الاثر وزاد هذا التأثير عندما وجد نفسه يقابل بالاستحقار اذ اراد المطالبة بحقه ، فتعمقت بصورة اكثر كراهية فولتير لكل النبلاء وكل من يقف ورائهم ويشجعهم ويوصلهم لهذه المكانة٨٣)

المرحلة الثانية : الانتقاد غير المباشر :

بعد ان اكتشف فولتير ان اساليبه في الانتقاد المباشر لا تجدي نفعا بل على العكس فقد عرضته للكثير من المشاكل والمخاطر والسجن عزم على تحقيق ما كان يصبوا اليه بالطرق الغير المباشرة ، وكان مما عمق لديه هذه الرؤية جملة امور كان من ابرزها ذهابه الى انكلترا التي وكما سبق القول هذبت من افكاره وتطلعاته(٨٤)

وكذلك فقد مكنته ان يكتسب شعبية واسعة بين اوساط المجتمع الفرنسي بعد رجوعه منها ، اضف الى ذلك استفادته من علاقته بمدام دي شاتليت التي كانت تملك علاقات لابأس بها مع نبلاء الحاشية(٨٥) ، كما سبق القول ، واخيرا فقد جاء صعود نجم مدام دي بمبادور تدعيما حقيقيا لموقف فولتير هذا ، ومن هنا تكاملت الظروف لتخلق من موقف فولتير المعادي للسلطة السياسية ، واستطاع ان يصل الى بلاط الملك لويس الخامس عشر وذلك عندما اصبح المؤرخ الرسمي لبلاطه(٨٦)

ومن الواجب ذكره ان فولتير في هذه الفترة (١٧٢٦ . ١٧٤٥) كان قد سار على مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) واي غاية هذه تلك التي اراد من خلالها التصحيح والتغير من طبيعة الحكم المستبد القاهر في فرنسا ، وعندما وصل الى غايته تقريبا ادرك وبسرعه انه لن يستطيع ان يؤثر شيئاً او يطرح اية فكرة للإصلاح في جو مملوء بنبلاء طغاة جل همهم البقاء في ظل هذا النظام الذي جنوا منه ارباحا طائلة وامتيازات واسعة طوال فترة زمنية كبيرة ، وانهم من جهة ثانية سيتصدون لاي محاولة تحاول تهديم هذا النظام او التأثير عليه(٨٧)

في ظل هذا الجو احس فولتير انه لن يستطيع ان يحقق هدفه المنشود ، وهو كمن ينعق ببوق مخروم في الوقت الذي بدأ فيه اشراف النبلاء في الحاشية الملكية يخشون من مكانته التي وصل اليه عند الملك وربما انهم استشعروا خطر وجوده في هذه المؤسسة السياسية لأجل هذا تسببوا في اثارة المؤامرات والدسائس حوله عند الملك ، ليرى فولتير نفسه في نهاية المطاف انه لم يعد له مكانا بينهم فأنسحب من المعركة بدون تحقيق اية نتائج .

بعد ذلك اتخذ قراره النهائي بترك فرنسا كلها والاتجاه الى الاصلاح عن طريق التنظير والكتابة ، وطرح افكاره وأراءه في كتيبات صغيرة نشرها بين اوساط الشعب الفرنسي ، وقبل هذا اراد ان يجرب حظه ولأخر مرة مع ملك بروسيا (فردريك الكبير)(٨٨) ، وان اسباب ودوافع فولتير لهذا القرار كانت متشعبة ومعقدة للغاية ، ولكن بعد استقراء المصادر التي وقعت بين يدينا تم الكشف على اسباب ذلك ، وهي الصداقة الحميمية التي كانت قد ربطت فولتير مع فردريك(٨٩)

فالمراسلات بينهما لم تكن وليدة ١٩٤٩ وانما ترجع جذورها الى عام ١٧٣٦ عندما كان فردريك لايزال وليا للعهد حيث كان قد قدم لفولتير الكثير من الدعاوي للقدوم والعيش عنده(٩٠)

الا ان الاخير كان يعتذر في كل مرة وربما انه قد تعلم الدروس الكثيرة بعد احتكاكه مع الملوك ، او بأنه كان يعرف ما سيترتب على ذهابه من عواقب وبعد ان اصبح فردريك ملكا كرر له الدعوة من جديد واعلن له بأنه تليمذه كما وصفه بأنه افخر شاعر وفيلسوف فرنسي ، وطلب منه القدوم الى بروسيا لأجل ان يصحح الفرنسية في اشعار الملك ويعملان سوية في المجال الفلسفي(٩١)

والى جانب ذلك فقد كانت بروسيا في الفترة التي تلقى فيها فولتير دعوة فردريك تضم كوكبة من العلماء الفرنسيين فأعتملت في نفس فولتير ان يلتحق بهم(٩٢) ، واخيرا كان لوفاة شريكة حياته (دي شاتليت) المفاجئ وخسارته لوظيفة ولقب مؤرخ الملك هي ماعجلت في ذهابه الى هناك ، وفعلا فقد اعد له الملك استقبالا بالغ الحفاوة ورتب له مكان في القصر لا يقل فخامة من جناح الملك في قصره ، فضلاً عن المكانة التي تبوئها في تلك الدولة كذلك فأن فردريك لم يهمل حب فولتير للمال والثروة ،وان كان الاخير قد قدم الى بروسيا مليونيرا فقد اعد له راتبا ضخما لم يخصصه لاحد من قبله ، وهكذا اصبح فولتير الشخصية الثانية في البلاط بعد الملك وراح يكتب ويطبع وينشر مقالاته من هناك الى فرنسا وكان اهم تلك الاعمال هو كتاب لويس الرابع عشر(٩٣)

الا ان فولتير سرعان ما اكتشف بعد الاشهر القليلة التي امضاها في حضرة الملك انه ليس اكثر من مجرد مسلي جلالته ، وغدت مسألة وجوده في بروسيا مِسألة وقت ليس الا ، كما ان سليمان الشمال وهو اللقب الذي اطلقه فولتير على فردريك قبل مجيئه الى برلين (أي في فترة المراسلات) اصبح يطبق جزءا كبيرا من سياسية ميكافيلي في ان الغاية تبرر الوسيلة وهو الذي سبق واكد لفولتير بأنه سيضع كتابا للرد على كتاب ماكيافلي ، ومما عمق هذا الشعور غزو فردريك لسيليزيا واغراق اوربا في بحر من الدماء بدون وجه حق ، فضلاً عن كل ما تقدم فأن فولتير كان قد وصل الى مسامعه مقولة فردريك بشأنه ((ان البرتقالة تعصر ويرمى بقشرتها))(٩٤) ، كما ان الملك سرعان ماوجد في موبتري (تلك لشخصية الفرنسية) معوضا عن فولتير لابل ان يبدل فولتير به ، ومن هنا امست معاملة فردريك لفولتير معاملة مغايرة تماما ومختلفة عن الفترة التي كان فيها فولتير لا يزال في فرنسا او في الفترة الاولى لمكوثه في برلين(٩٥) ولكي لا يدخل فولتير في مرحلة الصدام المباشر مع فردريك قرر ترك برلين قرر وقضاء ماتبقى من حياته منكبا حول عملا اخر من اعماله الا وهو السلطة الدينية(٩٦)

ب / السلطة في كتابات فولتير

(١) مرحلة ماقبل صدور كتابه الرسائل الفلسفية

لقد استندت مواقف فولتير النظرية من السلطة السياسية وطروحاته العلمية على المواقف العملية (والتي مر ذكرها) حيث دأب على ترجمة تلك المواقف العملية مع ارباب السلطة السياسية سواء في فرنسا او في الدول الاخرى التي زارها وفهم من خلالها اليه وسياسية كل واحد منهم في الحكم واثر ذلك على مستوى الشعب الذي يحكمه او الشعوب التي يحكموها وعندئذ بدأ بوضع طروحاته في هذا الشأن ، او انه استوعب كل تجارب تلك الشخصيات التي قابلها وخرج بأستنتاجات معينة وضح فيها سلبيات وايجابيات كل واحد منهم واخيرا ووضع رأيه النهائي حول ماهية وشكل السلطة السياسية في فرنسا تحديدا او في أي مكان اخر بصورة عامة كما ارادها او كما تصورها(٩٧)

ومن خلال استقراء سريع لما لاقاه في حياته من سجن ونفي ، وبالرغم من المعاناة الكبيرة التي جناها من هذين الامريين فأنها كانت وفي الوقت ذاته قد كتبت له وحسبت الى جهوده حتى صغائر تلك المواقف النظرية سواء في الفترة التي عاش فيها او في الفترة التي تلت وفاته واهمها

(١) القصائد الهجائية التي قدمها بحق الوصي على العرش عام ١٧١٧م والتي كانت من ضمن احد اسباب دخوله الباستيل ، وكانت هذه القصائد هي اولى الاعمال الانتقادية لفولتير للسلطة السياسية على الصعيد النظري واعتبرت كذلك سابقة خطيرة خصوصا عندما خاطب فولتير الوصي قائلا له بعد ان باع الاخير بعض الخيول التي كانت تملا البلاط الملكي لاسباب اقتصادية (كان من الافضل عليك ان تبيع نصف الحمير التي تملا البلاط الملكي)(٩٨)

لقد دفع فولتير الثمن باهضا لانتقاده هذا ، ولاجل ذلك فقد عظم ازدرائه ومقته حول كل من يتربع على كرسي العرش وما حوله ونوى تحطيم ذلك النظام بكل الطرق والاساليب ، وفعلا بعد تسع سنوات من التجوال في العديد من دول اوربا(٩٩) واطلاعه على اشكال الحكم السياسي فيها وبعد ان استقر به المقام منفيا الى اعظم البلدان الاوربية واعرقها من كل النواحي ليس الجانب السياسي فقط(١٠٠)

حيث اعتبر نفيه اليها من اهم وابرز الاحداث في حياته وكذلك كانت اخطر منعطف في حياته الفكرية بوجه عام وارائه السياسية والدينية بشكل خاص(١٠١) حيث رأى فولتير في هذه المملكة النقيض على ماكان موجودا في فرنسا على كافة الاصعدة واهمها الجهاز السياسي الذي كانت انكلترا تعمل بموجبه ، وهو جهاز انبهر منه فولتير وكتب لاجله كتاب اسماه الرسائل الفلسفية(١٠٢)

لقد تضمت كل رسالة في هذا الكتاب عرضا مفصلا للحياة السياسية والدينية وبقية النواحي الاخرى في انكلترا وارساله ذلك الكتاب الى احد اصدقائه في فرنسا ليقوم بطبعه وتوزيعه

بين الناس وان اخطر رسالتين فيما يخص الجانب السياسي كانتا (رسالة حول البرلمان) و (رسالة حول الحكومة) وفيما يلي عرض مقطتفات لابرز تلك الجمل :

١. (ان ثمن الاضطرابات التي سبق وان حصلت في انكلترا افرزت الحرية) (١٠٣) وربما ان فولتير قد قصد هنا ان البلدين (فرنسا وانكلترا) سادت فيهما في فترات سابقة عدة اضطرابات كانت نتائجها في الثانية افضل من الاولى . الا وهي الحرية بينما لم ينتج عنها في فرنسا أي شي من هذا القبيل لابل زادت من تقييد الحرية

٢ . (ان الامة الانكليزية هي وحدها التي انتهت في العالم الى تنظيم سلطة الملوك لمقاومتهم واقامت اخر الامر وبعد جهود متواصلة هذه الحكومة الحكيمة التي يكون فيها الامير القادر على كل شي لصنع الخير يكون مقيد اليدين في صنع الشر .... ويكون للشعب نصيب للحكم) (١٠٤) وهنا خاطب فولتير وبصورة مباشرة الشعب الفرنسي وطالبه بمقاومة ملوكه الطغاة وضرورة الوقوف بوجههم كما فعل الانكليز ، وكذلك ضرورة المطالبة بحقوقهم لاجل المشاركة في الحكم .

٣ . تحدث فولتير كذلك عن طبيعة النظام السياسي وتكوينه حيث قال :(ومجلس اللوردات ومجلس النواب حكما الامة والملك هو الحكم الثالث)(١٠٥) ، وهنا طالب ضمنا كما يبدو ان تكون هنالك مجالس في فرنسا مشابهه لتلك المجالس في انكلترا حيث تضمن هذه الطريقة من وجه نظره التقليل من سلطات الملك وبالتالي التقليل من دوره المركزي في تمشية وادارة شؤون البلد

٤ .(لم تخلق حكومة انكلترا لمثل هذه الضجة العظيمة ولا لمثل هذه الغاية المشؤومة ، ولايتجلى هدفها في حماقة القيام بفتوح مطلقا ، بل في منع جيرانها من هذا ، وليس هذا الشعب حريصا على حريته وحدها بل على حرية الشعوب الاخرى ، وقد استشرى الانكليز ضد لويس الرابع عشر لما زاد من طموحه فحاربوه بصدر رحيب غير مستبقين لانفسهم نفعا ولا ريب)(١٠٦) وهنا خطاب صريح موجه مرة ثانية الى الشعب الفرنسي بضرورة المطالبة بحريته المغتصبة من الملك لويس الخامس عشر ، ومن خلال اعجابه بالشعب الانكليزي طالب ضمنا ان يكون الشعب الفرنسي على على هذا المستوى من الوعي .

٥ . (كانت الحروب الاهلية في فرنسا اطول امدا واشد قسوة واكثر اجراما من حروب انكلترا الاهلية بيد انك لاترى ايه واحدة من تلك الحروب الاهلية كانت تهدف الى حرية حكيمة) (١٠٧)

وهنا اراد فولتير ابراز امريين هاميين ، الاول توبيخ الشعب الفرنسي على حروبه الدينية التي قام بها لفترات طويلة ولم ينتج عنها أي حرية واعية غيرا من واقع الحال السياسي نحو

الافضل ، والامر الثاني اربما انه كان متوقعا من ان الثورة ستحدث في فرنسا عما قريب ولهذا تأمل لو قامت تلك الثورة ان تكون ثورة واعية وحكيمة

٦ . (كانت حروبنا الاهلية في عهد شارل السادس قاسية ، وكانت حروب الحلف كريهة ، وكانت حروب المقالع مثيرة للسخرية)(١٠٨) وهنا سخر من جميع الحروب التي خاضتها فرنسا ووصفها بهذه الاوصاف وربما كان ذلك دعوة للملك واتباعه بالكف عن شن الحروب والتي لم تجبي منها فرنسا شيئا

٧ . (وينال جميع هؤلاء الاقران الذين يتألف المجلس الاعلى منهم القابهم من الملك ولا شيئ اكثر من هذا ، فلا تجد واحد من هؤلاء مالكا للارض التي يحمل اسمها ، فيلقب احدهم بأسم ارض معينة من غير ان يكون مالكا لهذه الارض ، او يلقب بأسم قرية معينة دون ان يعرف مكان هذه القرية)(١٠٩) وهنا خطاب فولتير موجه للنبلاء الفرنسيين اللذين كانوا على عكس الصورة التس كان فيها النبلاء الانكليز

(٢) مرحلة مابعد صدور كتابه الرسائل الفلسفية :

ان مما لاجدال فيه ان تنظيرات فولتير في المجال السياسي لم تكن بالمستوى الذي وصل اليه مونتسكيو او روسو في كتابيهما (العقد الاجتماعي ، روح الشرائع) فملاحظاته السياسية مبعثرة في مجالات شتى وكثيرا ما كانت مختلطة بتأملاته حول مشكلات اخرى ، ومايهمنا ان ملاحظاته السياسية في هذه الفترة اكتفت بالتعبير ولو جزئيا عن فكره الخالص ، او انها قد حدت من مواقفه المتشددة في هذا المضمار واخيرا فأنها تكاد تدخل في تناقض صارخ مع اراء اخرى صدرت وتناولت القضية ذاتها(١١٠) وهذا لايعني اننا نقلل من دوره في هذا المجال ، ولكننا نقول : صحيح انه لم يقدم للشعب الفرنسي نظاما بديلا للنظام الذي انتقده الانه في الوقت ذاته كانت لديه اليد الطولى في تقويض النظام السياسي القائم ومن ثم تهيئة الاجواء لهدمه(١١١)

في البداية نرى فولتير يتحدث عن اصل الدولة حيث يرى انه تكونت تاريخيا من الاكراه لامن التعاقد ، حيث يرى ان البشر هم كونوا صورة النظام الحاكم وفق ما ارتؤه (سواء اكان جمهوريا او ملكيا او استبداديا) فحوافز الافعال البشرية واحدة في كل مكان من العالم ليس في فرنسا وحدها وبالتالي فأن مصلحة المواطنيين هي الدافع العام لافعالهم في شتى اشكال الحكم(١١٢)

ولاجل هذا فقد مال فولتير الى تشجيع قيام النظام الملكي في فرنسا او ابقاء استمراريته وسبب ذلك من وجهه نظر فولتير هي ان فكرة النظام الاستبدادي كانت قد لعبت دورا كبيرا

ولايستهان به في تطور الفكر السياسي البرجوازي في فرنسا في تلك الفترة التي عاش فيها فولتير (١١٣)

وكذلك فأن اطلاعه على شكل النظام الملكي الذي رأه في انكلترا كان قد عزز لديه هذه القناعة(١١٤) ومن جهة ثانية فأنه يرى ان النظام الملكي في فرنسا كان قد وصل الى طور الصراع مع الفوضى الاقطاعية البغيضة والشنيعة ولو ان هذا قد حصل في فترة متأخرة من تاريخ هذا النظام وعم ذلك فقد فضله فولتير على النظام الجمهوري مثلا(١١٥) ولاجل ذلك فقد فضله على النظام الجمهوري .

والى جانب ذلك نجد ان فولتير كان قد اقتنع تمام الاقتناع بأن الملكية هي شكل الحكم الوحيد الذي يمكن ان يتصوره في فرنسا ذلك لانه كان قد فكر بوجود قيام اصلاحات في فرنسا وبالتالي فأنه لم يكن لتصورها الى في ظل النظام الاستبدادي ، ومن المعتقد ان فولتير كان صائبا في هذا الجانب فأن اية دولة لاتستطيع ان تنجز اية اصلاحات جوهرية مالم يكن جهازها السياسي قويا وحازما فارضا قوته على جميع مؤسسات الدولة والتي تقوم كلا منها بالاصلاح المطلوب وفق مايأمر به القائم على امور تلك الدولة (وهو الحاكم) ، وفي رأينا انه قليلا ما انفصل الحزم والقوة التي يتمتع بها الحاكم عن الاستبداد ، ولهذا فلقد رأينا فولتير يؤكد عليه .

وقد ربط فولتير كل ذلك بضرورة مجئ عاهل فيلسوف(١١٦) واعتقد انه الشخص الوحيد الذي يجب ان يجلسه الشعب على كرسي الملكية ، فقد قصد بكلمة عاهل المعنى الحقيقي لهذه الكلمة والتي تعني ان يكون الملك متحملا عاهل بلده على كتفه ، وبمعنى ادق من يتحمل على عاتقه حماية الانوار ودعاته ومكافحة الاباطيل والتعصب ، الى جانب الغاء نظام القنانة وسائر مخلفات نظام الاقطاع ورواسبه ومعاضدته للتقدم الاقتصادي وتشجيعه(١١٧)

اما كلمة فيلسوف فأن المعنى واضح وهو ان يكون هذا الملك على قدرا من الفلسفة ، او على الاقل ان يكون متأثرا بالافكار الفلسفية النيرة ، حيث جسد الملك الفيلسوف في منظاره اعظم سعادة يمكن للبشر ان يحلموا بها ، والى جانب ذلك اضاف فولتير صفتيين جديدتين لهذا الملك لابل فقد اكد على ذلك مرارا بأن يكون مستبدا مستنيرا ، أي ان يكون مستبدا ليحكم شعبه بحزم وقوة لاتؤدي بهما الى التهلكة ، وفي نفس الوقت يكون مستنيرا بعقله الذي لو كان كذلك لوجهه للقيام بالاصلاحات التي تتنافى مع الملكية الاستبدادية[١١٨]

واخيرا فأن الاصلاحات التي تقوم تحت رعاية (الاستبداد المستنير) مرشحة من وجه نظره ان تكون بمثابة الجسر الذي يؤمن الانتقال من الملكية المطلقة الى الملكية المعتدلة ، وفي اخريات حياته فقد اكد فولتير بأن من واجبات هذا النظام هو توفير الحرية السياسية والتي عدها بمثابة الباب الذي يؤدي الى كل الحريات الاخرى والتي قسمها الى عدة اقسام

١ . حرية الاشخاص : أي الرق ضد العبودية

٢ . حرية الكلام او الكتابة : وذلك حتى في امور الدين والسياسة ، وهذه الحرية يعتبرها فولتير حماية لجميع الحريات الاخرى واساسا لها

٣ . الحرية المدنية او الدعوة لقانون حرية الفرد ، أي توفير حماية للمواطن من استبداد رجال السلطة

٤ . حرية الضمير[١١٩] : او الحرية التي تتعلق بالامور الاعتقادية

٥ . حرية التملك : أي حق جميع المواطنيين في استحقاقهم للتملك ولكن دون مساواة بينهم في الثراء

٦ . حرية العمل : أي يبيع العمل الى من يتقدم بشرئه بثمن اغلى ، والعمل هو ملكية من لاملكية لهم[١٢٠]

واخيرا فأن السؤال الذي يطرح نفسه ماذا سيحصل لو لم يتحقق ماطالب به فولتير ، والحقيقة ان فولتير لم يغفل هذا الجانب ، فقد اوضح في قاموسه الفلسفي بأن سائر الدول التي لاتعتمد مثل هذا النظام ومثل هذه المبادئ اساسا لها فأنها ستكابد وبالتأكيد من الثورات[١٢١] ، وفعلا كان هذا ما حدث كما توقعه فولتير

الخاتمة

ان فولتير والى حد كبير كان حدياً في علاقاته في السنوات الاخيرة من حياته وخاصة مع السياسيين واتجه ليكتب ويخاطب الشعب الفرنسي ويحثه على المطالبة بحقوقه المسلوبة ، وقبل هذا وجد ان من واجبه ايقاظ ذلك الشعب من رقدته وسباته العميقين وابتكر عدة اساليب ذكية : ابرزها اعتماده على اكثر من منهجية وطريقة لايصال تلك الافكار على اختلاف ثقافات الشعب وتوجهات طبقاته ، قد كان كل ذلك على رأي اغلب الباحثين عبارة عن افكار وتنظيرات واقعية علمية استلهمها فولتير من واقع الحال ليس في فرنسا وحدها بل في اوربا بأكملها

ان النجاح الحقيقي لفولتير يكمن في ايقاظه للشعور العام الفرنسي والاوربي عن طريق استثارة المشاعر الشعبية ضد السلطة السياسية المستبدة ، وهكذا بدأ الفرنسيين بتقبل افكار فولتير وهضمها لتستمر عملية الهضم هذه احد عشرة سنة لتفرز بعد ذلك ما حلم به فولتير ونادى له طوال حياته الا وهو التغير ، حيث قدم الملك لويس السادس عشر الى خشبة الاعدام ، وقبل ذلك الفى اعترافا خطيرا بشأن ما حققه فولتير وروسو فقال (ان هذان المجنونان هما من انهيا عرش فرنسا) .

الهوامش

(١) ESHALDONE .VOLTAIRE . ENCYCLOPAEDIA RELIGION AND ETHICS .VOL 7 (.NEW YORK .N.D.p:627

(٢) VOLTAIRE . CANDIDE .COLES PUBLISHING .(CANADA . 1980) . p: 1

(٣) اندرية كريسون ، فولتير (حياته ، اثاره ، فلسفته) ، ت: صباح محي الدين ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ١٠

(٤)كريسون ، المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(٥) Voltaire .candide . p: 1

(٦) كريسون ، المصدر السابق ، ص ١٠.

(٧) كريسون ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٨)ديورانت ، المصدر السابق ، مج ١٨ ، جـ ٣٥ . ص ٩ .

(٩) ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ت : فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٢ ، ص٢٥٢ .

(١٠) جورج طرابلشي ، معجم الفلاسفة (الفلاسفة ، المناطقة ، المتكلمون) ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٤٣٤ .

(١١) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، مج ١٨ ، جـ ٣٥ . ص ٩ .

(١٢) جورج طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٣٤٣ .

(١٣)ول ديورانت ، قصة الحضارة ، مج ١٨ ، جـ ٣٥ . ص ٩.

(١٤) ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٥٢ .

(١٥) بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠١ ، وكذلك ينظر طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٥ .

(١٦) كريسون ، المصدر السابق ، ص ١٠

(١٧) حيث كتب لها وهو في هذا العمر بعض القصائد الغرامية بل راح يجتمع معها في مقابلات مسكرة للمزيد انظر بدوي ، المصدر السابق ، ص٢٠١ ، وكذلك ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٥٣ .

(١٨) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ص١٢ ، وكذلك بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠١

(١٩) وهنا قال (كرهت كثرة الاشياء التي ارادوا ان يشحنو بها ذهني ، ينظر ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ص ١١

(٢٠) (١٦٤٣ . ١٧١٥م)

(٢١) والذي كان يبلغ من العمر (٥) سنوات

(٢٢)ديورانت . قصة الحضارة ، مج١٨ ، جـ ٣٥ ، ص ٥٣ .

(٢٣) كريسون ، المصدر السابق ، ص ١٣ ؛ طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٥ .

(٢٤) ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٥٤

(٢٥)ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٥٤ ؛ صبحي ، المصدر السابق ، ص ١٨٠

(٢٦) ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٥٤ ؛ كريسون ، المصدر السابق ، ص ١٣

(٢٧) حيث حيا يومها النقاد فولتير وتوقعوا ان يكون فرجليوس فرنسا ، للمزيد ينظر طرابشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٥

(٢٨) طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٥ ؛ كريسون ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٢٩) اوزجان يشار ، ومضات من حياة فولتير ، مقالة منشورة على شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) على الموقع الاتي : www.droob.com

(٣٠) بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ؛ رونالد ستروميرج ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ ، وكذلك الملاح ، المصدر السابق ، ص ٣٣٦ .

(٣١) توماس ، المصدر السابق ، ص ٢٦٣ ؛ خريسات ، المصدر السابق ، ص ٣٣٣ .

(٣٢) (١٧١٤ . ١٧٢٧م).

(٣٣) في وقت وقف فيه اشراف فرنسا ينظرون اليه وهم منفجرون من الضحك فقال قولته الشهيرة (سوف نرى من يضحك افضل من الاخر واعلى منه صوتا) للمزيد ينظر توماس ، المصدر السابق ، ص ٢٦٣ ، وكذلك ينظر بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ، وكذلك طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٥ .

(٣٤) بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٣٥) كريسون ، المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٣٦) جون لوك (١٦٣٢ . ١٧٠٤ م) ولد في قرية رنكتون في انكلترا سنة ١٦٣٢ من عائلة متوسطة الثراء ، كان والده محاميا اشترك في الحروب الاهلية في جيش كروميل ضد الملك شارل الاول ، ظل يدعو طيلة حياته الى التسامح الديني والحرية الفكرية ، وكان قد فند سلطة الكنيسة ودعا الى تفسير الكتاب المقدس في ضوء العقل ، وفي جانب اخر كان قد انتقد فكرة الحق الالهي للملوك في الحكم وينادي بوضع الدستور ، للاستزادة ينظر متي ، كريم ، الفلسفة الحديثة (عرض نقدي) ، منشورات جامعة بنغازي ، (بنغازي ، ١٩٧٤) ، ص ١٥٢

(٣٧) رونالد ستروميرج ، المصدر السابق ، وكذلك ينظر ، ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٥٢ .

(٣٨) طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٥ ، خريسات ، المصدر السابق ، ص ٣٣٣ .

(٣٩) توماس ، المصدر السابق ، ص ٣٦٤ .

(٤٠) بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢

(٤١) للمزيد ينظر توماس ، المصدر السابق ، ٣٦٥ .

(٤٢) هي امرأة فرنسية بالغة الثراء ، وكانت زوجة لاحد قواد الحرس الملكي ، عاش معها فولتير لمدة ١٥ عام في قصر لهما في سيري ، وكانت على درجة كبيرة من الثقافة والاطلاع وخصوصا في العلوم اللاتينية ، الى جانب دراستها لتعاليم نيوتن ، اعجب بها فولتير كثير وقال عنها (انها رجل عظيم ما من خطأ ارتكبه سوى انه خلق امرأة) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ص ١٩٤ ؛ توماس ، المصدر السابق ، ص ٣٦٤

(٤٣) توماس ، المصدر نفسه ، ص ٣٦٥ . ٣٦٦

(٤٤) هي مملكة المانية متحدة سابقة ، عطية الله ، احمد ، القاموس السياسي ، (القاهرة ، ١٩٦٨) ، ص ١٠٧٠

(٤٥) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ص ١٩٤

(٤٦) ويكبيديا . الموسوعة الحرة . على شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت)

(٤٧) حيث اصبح مقره هذا مكان يحج اليه هؤلاء ليشاهدوا المساجلات السياسية والفلسفية والعلمية والشعرية ، كما كانوا مستوعبين لكل ارائة التي تهدف الى هدم عرش اسرة ال بوربون من اساسه ، للمزيد ينظر توماس ، المصدر السابق ، ص ٣٦٦ . ٣٦٧ .

(٤٨) كريسون ، المصدر السابق ، ص ٢٢ ، طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٦ .

(٤٩) حيث كان فولتير يعرفها قبل هذه الفترة وكان قد اهداها بعضا من اشعاره ، للاستزادة ينظر كريسون ، المصدر نفسه ، وكذلك ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ص ٢١٠ .

(٥٠) طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٦ .

(٥١) حيث اطلق على نفسه اسم الكاثوليكي الطيب كما كتب مسرحيته محمد واهداها الى البابا ، للمزيد ينظر بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٥٢) البابا : هو الرئيس الروحي للعالم الكاثوليكي ، يتمتع بسيادة روحية بالاضافة الى السيادة الزمنية ، ينظر عطية ، المصدر السابق ، ص ١٧١ .

(٥٣) حيث اصبح مسرحيا وراسمالي وقيلسوف ومقرض للنقود ، ينظر ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ص ٢٠٨

(٥٤) كريسون ، المصدر السابق ، ٢٤ . ٢٥ ، وكذلك ينظر بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٥٥) حيث وقعت في حب شاب يدعى (سانت لامبرت) وسرعان ما حملت منه ، واثناء وضعها للطفل توفييت . للاستزادة ينظر سترومبرج ، المصدر السابق ، ص ٤٣٦ ، وكذلك ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٧٥ .

(٥٦) كريسون ، المصدر السابق ، ٢٤ . ٢٥ ، وكذلك ينظر بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٥٧) طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٦ ، وكذلك ينظر كريسون ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٥٨) ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٧٠ ، وكذلك ينظر طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٦ .

(٥٩) طرابلشي ، المصدر نفسه ، ص ٤٣٦ .

(٦٠) اكاكيا : هو احد الموظفين السياسين من الدرجة العالية في الدولة البروسية ، للاستزادة ينظر طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٦ .

(٦١) شهد عام ١٧٥٢ غزو فردريك لسيليزيا واغراق اوربا في بحر من الدماء ، فغير عندئذ فولتير نظرته الى فردريك . انظر ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٦٩ ، كما وصلت الى مسامع فولتير مقولة الملك عنه (البرتقالة تعصر ويرمى بقشرتها) ينظر كريسون ، المصدر السابق ، ص ٣٠ ، وكذلك طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٦ .

(٦٢)للمزيد حول حول نص هذه الرسالة ينظر كريسون ، المصدر السابق ، ص ٣٣. ٣٤ ، وكذلك ينظر بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ، وكذلك ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٧٢ .

(٦٣) طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٧ ، وكذلك ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٧٣ .

(٦٤) بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٦٥) طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٧ .

(٦٦)كريسون ، المصدر السابق ، ص ٣٥ . ٣٦ .

(٦٧) ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٧٨ ، وكذلك ينظر بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٦٨) طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٧ .

(٦٩) سيتم الحديث عنها في الفصل الثاني من هذا البحث

(٧٠) كما تقدم فولتير بدعوة لروسو للمجيئ والاقامة عنده عندما كان مطارد السلطات ، وفي وقت لاحق هاجم فولتير السلطات السويسرية لحرقها كتب روسو ، للمزيد ينظر ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٣٠٣ . ٣٠٤ ، وكذلك ينظر مقالة عن فولتير . جريدة الصباح ، على شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) www.alsabaah.com

(٧١) ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٣١١ .

(٧٢) ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٥٢

(٧٣) طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٤ ؛ ديورانت ، قصة الحضارة ، مج ١٨ ، جـ ٣٥ ، ص ٩ ؛ lanson op.cit . p 1 .

(٧٤) خريسات ، المصدر السابق ، ص ٣٣٣ ؛ طرابلشي ، المصدر نفسه ، ص ٤٣٤ .

(٧٥) ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٥٢ .

(٧٦) بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٧٧) ديورانت ، قصة الحضارة ، ص ١٢

(٧٨) صبحي ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ ؛ ديورانت ، قصة الحضارة ، مج١٨ ، جـ٣٥ ، ص ٥٣.

(٧٩) ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٥٢ ؛ كريسون ، ص ١٣ . ١٤ .

(٨٠) طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٥ .

(٨١) كريسون ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٨٢) بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ؛ الملاح ، المصدر السابق ، ص ٣٣٦ .

(٨٣) ستورمبرج ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ ؛ يشار ، المصدر السابق .

(٨٤) توماس ، المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .

(٨٥) ويكيبيديا . الموسوعة الحرة .

(٨٦) ديورانت ، قصة الحضارة ، ص ٢١٠.

(٨٧) كريسون ، السابق ، ص ٢٤ . ٢٥ ؛ ينظر بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٨٨) طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٦ .

(٨٩) ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٧٠ .

(٩٠)المصدر نفسه ، ص ٢٧٠ .

(٩١) كريسون ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٩٢) طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٦ .

(٩٣)المصدر نفسه ، ص ٢٧ . ٢٩ ؛ ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٧٠ .

(٩٤) كريسون ، المصدر السابق ، ص ٣٠ ؛ ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٧٠ .

(٩٥) بدوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٩٦) ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٧٢

(٩٧) J .M. DENT . VOLTAIRE .EVERYMAN S ENCYCLOPAEDIA .SIXTH EDITON .VOL;12 (LANDAN .1978) p: 351

(٩٨) طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٥ ؛ ديورانت ، قصة الفلسفة ، ص ٢٥٤ .

(٩٩) كريسون ، المصدر السابق ، ص ١٢.

(١٠٠) توماس ، المصدر السابق ، ص ٢٦٣ ؛ خريسات ، المصدر السابق ، ص ٣٣٣ .

(١٠١) طرابلشي ، المصدر السابق ، ٤٣٥ .

(١٠٢) توماس ، المصدر السابق ، ص ٣٦٥ .

(١٠٣) فولتير ، الرسائل الفلسفية ، ص ٤٢ .

(١٠٤) فولتير ، المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

(١٠٥) المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

(١٠٦)المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

(١٠٧)المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

(١٠٨) فولتير ، المصدر السابق، ص ٤٤ .

(١٠٩) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

(١١٠) ف ، فولغين ، فلسفة الانوار ، ترجمة : هنرييت عبودي ، دار الطليعة ، بيروت ، (د. ت) ، ص ٢٩

(١١١) عبد الحميد بطريق ، التاريخ الاوربي الحديث ، ص ٣١٩ .

(١١٢) فولغين ، المصدر السابق ، ص ٣٠ . ٣١

(١١٣) فولغين ، المصدر السابق ، ص ٣١ .

(١١٤) طرابلشي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٦ .

(١١٥) فولغين ، المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(١١٦)المصدر نفسه ، ص ٣٤ ؛ الادهمي ، المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

(١١٧) جستاف لانسون ، فولتير ، ترجمة : محمد غني هلال ، (القاهرة ، ١٩٦٢) ، ص ٢٠١ .

(١١٨) فولغين ، المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(١١٩) اميل بريهييه ، تاريخ الفلسفة (ق١٧) ، ت ، جورج طرابلشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ، ص ٢١٨ .

(١٢٠) جستاف لانسون ، المصدر السابق ، ص ٢٠١ ، وكذلك ينظر جعفر عليوي موسى الخفاجي ، مفهوم الحرية في فكر عصر النهضة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ١٩٩٠ ، ص ٢٤ . ٢٥ .

(١٢١) فولغين ، المصدر السابق ، ص ٣٥ .